

العنوان:	مقارنة بين الإمام ابن حزم و الإمامين سيف الدين الأمدى و شمس الأئمة السرخسي
المؤلف الرئيسي:	محمد، عبدالله أحمد عبدالله
مؤلفين آخرين:	أحمد، أزهرى علي(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1999
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 193
رقم MD:	711757
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الإسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الفقه الإسلامي، أصول الفقه، الإمام ابن حزم، الإمام الأمدى، الإمام السرخسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/711757

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

محمد، عبدالله أحمد عبدالله، و أحمد، أزهرى علي. (1999). مقارنة بين الإمام ابن حزم و الإمامين سيف الدين الأمدى و شمس الأئمة السرخسي (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان. مسترجع من <http://711757/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

محمد، عبدالله أحمد عبدالله، و أزهرى علي أحمد. "مقارنة بين الإمام ابن حزم و الإمامين سيف الدين الأمدى و شمس الأئمة السرخسي" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 1999. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/711757>

الفصل الأول

حياته وعصره

المبحث الأول : حياة الإمام ابن حزم

(وفيه أربعة مطالب)

المبحث الثاني : عصر الإمام ابن حزم

(وفيه ثلاثة مطالب)

المبحث الثالث : مكانة ابن حزم العلمية

(وفيه ثلاثة مطالب)

المجلد الأول

شخصية ابن خلدون

(وفيه أربعة مطالب)

المطلب الأول : المولد والنشأة

المطلب الثاني : حياته ورحلاته

المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه

المطلب الرابع : أخلاقه وصفاته

المطلب الأول

المولد والنشأة

اسمه على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف ابن معدان ابن سفيان الفارسي ، مولى يزيد بن أبي سفيان الأندلسي الإمام العلامة ، تكنى أبا محمد* .

كتب بخط يده أنه ولد بعد صلاة الفجر من آخر يوم في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة .

توفي في شعبان سنة ست وخمسين وأربعمئة ، وهو ابن اثنين وسبعين سنة إلا شهراً . وأصل آبائه من إقليم (الزاوية) في قرية (منت ليشم) غرب الأندلس (١) . سكن هو وآبؤه (قرطبة) ونالوا فيها جاهاً عريضاً (٢) .

وكان والدّه أبو عمر أحمد بن سعيد (٣) أحد العلماء ، ومن وزراء الحاجب محمد ابن أبي عامر (٤) .

* انظر ترجمة ابن حزم :-

- سير أعلام النبلاء (١٨/١٨٤-٢١٢) للحافظ الذهبي ، ط ، مؤسسة الرسالة (بيروت) .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس (٣٠٨) للحافظ الذهبي ، ط الدار المصرية في التأليف والترجمة .
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (٤١٥-٤١٨) للضبي ، ط دار الكتاب العربي .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢/٢٩٩) لابن الفلاح ، ط دار الفكر بيروت .
- الذخيرة في محاسن الجزيرة (المجلد الأول / القسم الأول / ١٦٧ - ١٨٠) لابن بسام .
- معجم الأدباء (١٢/٢٣٥-٢٥٧) لياقوت الحموي .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢/٧٧-٨٤) للمقري التلمساني ، ط دار صادر بيروت .
- (١) معجم الأدباء (١٢/٢٣٧) لياقوت الحموي ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- (٢) وهي مدينة عظيمة بالأندلس ، وسط بلادها وكانت سريراً لملكها ، وبها ملوك بني أمية ، بينها وبين البحر خمسة أيام ، وليس في المغرب شبيه لها في كثرة الأهل وسعة الرقعة ، راجع معجم الأدباء ١٢/٢٣٧ لياقوت الحموي .
- (٣) هو : أحمد بن سعيد بن غالب ، أبو عمر الوزير ، كان وزيراً للدولة العامرية ومن أهل العلم والأدب والخير ، وكان له في البلاغة يد قوية ، مات قريباً من سنة أربعمئة . راجع جذوة المقتبس (١٢٥-١٢٧) للحميدي .
- (٤) هو : محمد بن أبي عامر ، أبو عامر ، أمير الأندلس في دولة الخليفة هشام المؤيد تلقب بالمنصور ، وكانت مدته في الإمارة بضعاً وعشرين سنة ، توفي سنة ٣٩٣ هـ . راجع بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (١١٥-١١٧) .

ومن وزراء ابنه المظفر^(١) من بعده .

لقد نشأ ابن حزم في بيت مجدٍ وعزٍّ وتربَّى في القصور والجوارى بين يديه قال
اليسع بن حزم^(٢) : " وكان في صباه يلبس الحرير ، ولا يرضى من المكانة إلا
بالسرير"^(٣) .

ولمَّا كان ابن حزم من أبناء الأكابر ، فمن الطبيعي أن ينال قسطاً وافراً من
التعليم ولم يمنع وسط البلاط - الذي قضى فيه شبابه - عقله الوثاب من السعى للتكامل
بمختلف الفنون .

(١) هو : عبد الملك بن محمد بن أبي عامر الملقب (بالمظفر) أمير الأندلس بعد أبيه توفي في سنة ٣٩٩هـ .
راجع بقية المتن (٣٧٣ - ٣٧٤) للضبى .

(٢) هو : اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع العافقي الجياني ، أبو يحيى مؤرخ من العلماء
بالقراءات ، سكن بلنسية ، ورحل إلى مصر ، جمع للسلطان صلاح الدين الأيوبي كتاب سماه (المغرب في
محاسن المغرب) وهو أول من خطب بمصر على منابر العبيديين بالدعوة العباسية ، كان السلطان صلاح
الدين يكرمه ، توفي عام ٥٧٥هـ . راجع الأعلام (١٩١/٨) للزركلي . شذرات الذهب في أخبار من ذهب
(٢٥/٢) لأبى الفلاح الحنبلي .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/١٩٠) للحافظ للذهبي .

المطلب الثاني

حياته ورحلاته

لقد أثرت الثورة التي أطاحت بالأسرة العامرية تأثيراً كبيراً في ظروف أسرة ابن حزم ، وقاسى ابن حزم وأبوه الوزير من المحن الشئ الكثير وخاصة بعد أن أعيد هشام الثاني^(١) إلى العرش في ذى الحجة سنة ٤٠٠ هـ .

وفي هذه الظروف غادر ابن حزم في محرم عام ٤٠٤ هـ مدينة (قرطبة) التي مرَّقتها الحروب الأهلية ، وبعد أن خرب البربر قصر أسرته البديع (ببلاط مغيث) في الناحية الغربية (لقرطبة) .

ثمَّ اختار مدينة (المَرِيَّة)^(٢) لإقامته ، ويظهر أنَّه استطاع أن يعيش هناك في شئ من الهدوء .

ولكن بعد أن خلع على بن حمود^(٣) بالإتفاق مع خيران^(٤) صاحب (المَرِيَّة) الأمير سليمان الأموي^(٥) ، سُجن ابن حزم عدة أشهر ، لأنَّ خيران كان يظنُّ أنَّ ابن حزم يتآمر لإصالح الأمويين ، ثمَّ نفاه بعد ذلك ، فذهب ابن حزم إلى حصن (باشبيلية)^(٦) حيث تلقاه حاكمه بالترحاب ومكث هناك شهراً قلائل .

ولمَّا علم ابن حزم أنَّه نودى لعبد الرحمن الرابع^(٧) (المرتضى) بمدينة

(١) هو : سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر تولى الخلافة يوم الجمعة ٦ شوال عام ٣٩٩ هـ ودخل قرطبة عام ٤٠٠ هـ وتلقب (الظافر) و (بالمستعين) ثم خرج من قرطبة حتى دخلها في شوال عام ٤٠٣ هـ، حكم سبع سنوات ، قُتل على يد علي بن حمود عام ٤٠٧ هـ . راجع جذوة المقتبس (١٩) للحميدى .

(٢) من أقاليم الأندلس وهى مدينة كبيرة وفيها مرفأ ومرسى للسفن . معجم البلدان (١١٩/٥) .

(٣) هو: علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس تولى سنة ٤٠٧ هـ وتسمى بالخلافة ، وتلقب بالناصر ، قتله صقالبة له في الحمام عام ٤٠٨ هـ . راجع جذوة المقتبس (١٩) للحميدى .

(٤) هو : خيران العامرى ذكر ابن حزم أنَّ بعض الواشين نقل إلى خيران أنَّ ابن حزم يتآمر عليه . راجع طوق الحمامه (١١٨) لابن حزم .

(٥) هو : هشام الثاني الذى سبق تعريفه .

(٦) وهى مدينة كبيرة وعظيمة وبها كان بنو عباد ومقامهم بعد أن خربت قرطبة وهى غربى قرطبة قريبة من البحر . معجم البلدان (١٩٥/١) لياقوت .

(٧) هو : عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر تلقب (بالمرتضى) بايعه البربر وزحفوا على غرناطة ثم تخلو عنه ودسوا عليه من قتله غيلة . راجع جذوة المقتبس (٢٢) للحميدى .

(بلنسية)^(١) ترك (اشبيلية) واشترك مع جيش المرتضى وكان ابن حزم وزيراً له ، فأُسِر ابن حزم ، ولكن بعد مدةٍ وجيزة أُطلق د. راحه .

ثُمَّ رَجَعَ ابن حزم إلى (قرطبة) في شوال عام ٤٠٩ هـ ، بعد أن غاب عنها ست سنوات وكانت قرطبة تحت إمرة القاسم بن حمود^(٢) .

وعندما بُويع الخليفة عبد الرحمن الخامس^(٣) في رمضان عام ٤١٤ هـ بعد خلع ابن حمود - ولمّا كان عبد الرحمن الخامس صديقاً لابن حزم- تقلّد ابن حزم منصب الوزارة ، ولكن الفتن السياسية لم تمهل الخليفة والوزير ، فقد قُتل الخليفة في ذى القعدة بعد سبعة أسابيع من تولّيه .

وأصبح ابن حزم من جديد بين جدران السجن ، ولا يمكن أن نقرر بالضبط المدة التي قضاها ابن حزم في السجن ، ولكن من المؤكد أنّه كان يعيش في مدينة (شاطبه)^(٤) حوالى عام ٤١٨ هـ^(٥) .

وبعد هذه الحوادث إعتزل ابن حزم السياسة وتفرغ للعلم والتأليف .
لقد بدأ ابن حزم العلم مالِكياً ثُمَّ شافعيّاً متحمساً لمذهبه ، ثُمَّ تحول إلى الظاهريّة وأصبح ظاهريّاً متحمساً .

ولمّا كان ابن حزم ميالاً بطبعه إلى المناظرة ، نجده قد أسرف في نقد العلماء على اختلاف مذاهبهم ، وقد عرّض برجال كانوا موضع إجلال السّواد الأعظم من المسلمين كالأشعري^(٦)

(١) مدينة مشهورة بالأندلس ، وهى شرقى قرطبة وأهلها أُمير أهل الأندلس ويسمون عرب الأندلس ، وبينها وبين البحر فرسخ . معجم البلدان (١/٤٩٠) .

(٢) هو : القاسم بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله الإدريسي ، تولى بعد أخيه علي بن حمود ، تلقب بالمأمون ، ثار عليه ابن أخيه يحيى بن عليّ عام ٤١٢ فطرده من قرطبة ، ثم دخلها ثانية عام ٤١٣ ، مات سنة ٤٣١ هـ بعد طول أسر . راجع جذوة المقتبس (٢٣) للحميدى .

(٣) هو : عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، بويع بالخلافة في رمضان عام ٤١٤ وله إثنان وعشرون سنة ، تلقب (بالمستظهر) ويكنى أبا المطرف ، كان في غاية الأدب والبلاغة والفهم ورقة النفس ، قتل عام ٤١٤ في ذى القعدة . الجذوة (٢٥) للحميدى .

(٤) مدينة في شرق الأندلس وهى مدينة كبيرة قديمة . معجم البلدان (٣/٢٠٩) لياقوت .

(٥) راجع ذلك في دائرة المعارف الإسلامية (١٣٦/١ - ١٤٣) .

(٦) هو: علي بن إسماعيل بن اسحاق أبو الحسن، من نسل الصحابي أبو موسى الأشعري مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان من أئمة المتكلمين المجتهدين ولد بالبصرة عام ٢٦٠ هـ تلقى الاعتزال وتقدم فيه ثم رجع =

وأبى حنيفة^(١) ومالك^(٢) .

لذلك أصبح مُحارباً مُضطهداً ، ومع ذلك استطاع أن يستميل أحمد بن رشيق^(٣) وإلى جزيرة (مَيُورَقَة)^(٤) فناصره ، وكان هذا الرجل شغوفاً بالأدب وعلوم الدين ، وقد احتفى به ابن حزم عندما اتَّهمه فقهاء قرطبة وغيرهم بمعارضة المذهب المالكي . واستطاع بفضل احتمائه بهذا الوالى أن يكسب أنصاراً له بهذه الجزيرة بين عامى ٤٣٠ - ٤٤٠ هـ .

ولقد تناقض ابن حزم في حضرته ابن رشيق مع الفقيه المالكي أبى الوليد سليمان الباجي^(٥) ، الذى عاد من المشرق عام ٤٤٠ هـ وقد استدعاه أحد فقهاء (مَيُورَقَة) .

= وجاهر بخلافه توفى سنة ٣٢٤ هـ ببغداد وله من المصنفات (مقالات الإسلاميين) (الإبانة في أصول الديانة) . راجع الأعلام (٢٦٣/٤) للزركلى وفيات الأعيان (٢٨٤/٣ - ٢٨٦) لابن خلكان .

(١) هو : النعمان بن ثابت ، التيمى بالولاء ، الكوفى ، أبو حنيفة ، إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، راوَدَه عمر بن هبيرة على القضاء فامتنع ورعاً ، ثم المنصور فأبى فحبسه إلى أن مات ، كان قوى الحجّة ، من أحسن النَّاس منطقاً ، كريماً في أخلاقه ، جواداً حسن المنطق والصورة جهورى الصوت ، قال الشافعيّ : النَّاس عيال في الفقه على أبى حنيفة . راجع الأعلام (٣٦/٨) للزركلى - وفيات الأعيان (٤١٥ - ٤٠٥/٥) لابن خلكان ط دار صادر .

(٢) هو : مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وإليه تنتسب المالكية ، مولده عام ٩٣ هـ ووفاته بالمدينة عام ١٧٩ هـ كان صلباً في دينه ، بعيداً عن الأمراء والملوك ، تواضع له الرشيد وطلب منه المنصور أن يضع له كتباً للناس يجمعهم عليه فصنف له (الموطأ) . راجع الأعلام (٢٥٧/٥) للزركلى - وفيات الأعيان (١٣٥ - ١٣٩) لابن خلكان .

(٣) هو : أحمد بن رشيق الكاتب أبو العباس ، مال إلى الفقه والحديث ، وبلغ من رئاسة الدينار أرفع المنازل ، فكان ينظر في أمور الجهة التى كان فيها نظر العدل وكان يجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم . راجع بغية الملتبس (١٨٧) للضبى .

(٤) جزيرة في شرق الأندلس ، كانت قاعدة ملك مجاهد العامرى . معجم البلدان (٢٤٦/٥) .

(٥) هو : سليمان بن خلف بن سعد التجيبى القرطبى ، أبو الوئيل الباجي ، فقيه مالكى كبير من رجال الحديث ، مولده في (باجه) بالأندلس ، رحل الى الحجاز وبغداد والموصل ودمشق ، وعاد الى الأندلس فولى القضاء ، توفى (بالمرية) عام ٤٧٤ هـ وكان مولده ٤٠٣ هـ ، ومن مصنفاته (السراج في علم الحجاج) (إحكام الفصول في أحكام الأصول) (شرح فصول الأحكام) . راجع الأعلام (١٢٥/٣) للزركلى . وفيات الأعيان (٤٠٨ - ٤٠٩) لابن خلكان ط دار صادر بتحقيق الدكتور : إحسان عباس .

وهذا الفقيه أجبر ابن حزم على مغادرة الجزيرة ، ثُمَّ أجبر ابن حزم على أن يعتكف في قريته (مِنْتَ لِيْشْم) وقد أُحْرِقَتْ مؤلفاته (بِإِسْبِيلِيَّة) جَهْرَةً^(١) ، فندد بهذا التصرف الأحمق في قصائد لاذعه .

وواصل ابن حزم في عزلته الدرس والتأليف ولكن لم يتعدى أكثرها عتبة باديته كما قال ابن حيان^(٢) (٣) .

وكانت ترد على ابن حزم في عزلته هذه زُمرَةٌ صغيرةٌ من أصاغر الطلبة لم يخشوا فيه ملامة الفقهاء وكان من أعظمهم المؤرخ الحميدى^(٤) . توفي ابن حزم في بلدته في الثامن والعشرين من شعبان سنة ٤٥٦ هـ الموافق ١٥ أغسطس عام ١٠٦٤ م . وروى أنَّ المنصور الموحدى^(٥) قال على قبره : (كل العلماء عيال على ابن حزم)^(٦) .

(١) أحرقها المعتضد بن عباد ، ابن القاضى أبو القاسم إسماعيل بن عباد اللخمي . ع

(٢) هو : حيَّان بن خلف ، أبو مروان بن حيَّان ، القرطبي ، وهو من أقدم وأفضل مؤرخي الأندلس ، ولد عام ٣٧٧ هـ وتوفي عام ٤٦٩ هـ وله كتاب (المقتبس في تاريخ الاندلس) . راجع دائرة المعارف الإسلامية (١٤٦/١) - وفيات الأعيان (٢١٨/٢-٢١٩) .

(٣) معجم الأدباء (٢٤٩/١٢) لياقوت الحموى .

(٤) أبى عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدي . راجع الصفحة (١٠) وفيات الأعيان (٢٨٢/٤ - وما بعدها) لابن خلكان .

(٥) هو : يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الكومي الموحدى ، أبى يوسف المنصور بفضل الله ، من ملوك الدولة المؤمنية في المغرب الأقصى ومن أعظمهم آثاراً ، ولد بمراكش عام ٥٥٤ هـ وتوفى عام ٥٩٥ هـ ، إستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات ، وكان شديداً في دينه ، أمر برفض فروع الفقه ونهى الفقهاء عن الافتاء إلا بالكتاب والسنة ، وأبطل التقليد . راجع الأعلام (٢٠٣/٨) للزركلى - المعجب في تخليص أخبار المغرب (٣٣٦/٣) لعبد الواحد المراكشي ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر .

(٦) دائرة المعارف الإسلامية (١٤٢/١) ، نفح الطيب (٢٢/٤) للحافظ المقرئ .

المطلب الثالث

شيوخ ابن حزم وتلاميذه

أولاً : شيوخ ابن حزم :-

لقد بدأ ابن حزم حياته العلمية مبكراً ، فتعلم القرآن والأدب والشعر والمنطق منذ نعومة أظفاره ، ثمَّ سمع الحديث ولم يناهز السادسة عشرة من عمره ، فسمع من شيوخ كثر وأخذ عن أعلام الأندلس في مختلف الفنون .
فمن شيوخه :

- (١) أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن الجسور ، محدث مكثر وهو أول شيوخ ابن حزم مات (ببلاط مغيث) في ذى القعدة عام ٤٠١ هـ (١) .
- (٢) مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار فقيه عالم زاهد يميل الى الاختيار والقول بالظاهر (٢) .
- (٣) عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي المعروف بالأصلي ، أبو محمد ، من كبار أصحاب الحديث ، سمع من كبار العلماء بالمشرق وكان متقناً للفقهاء والحديث ، ألف كتاباً كبيراً (في دلائل المسائل) مات بالأندلس قريباً من سنة أربع مائة (٣) .
- (٤) عبد الله بن ربيع بن عبد الله التيمي أبو محمد ، سكن قرطبة ، سمع أبا بكر محمد بن معاوية ، وأبا علي إسماعيل بن القاسم القالي اللغوي ، مات سنة ٤١٥ هـ (٤) .
- (٥) محمد بن الحسن المذحجي ، أبو عبد الله ، يعرف بابن الكتاني له مشاركة قوية في علم الأدب والشعر ، وله تَقَدُّم في علوم الطب والمنطق ، وله كلام في الحكم ورسائل في كل ذلك ، وله كتب معروفة ، وله كتاب سماه كتاب (محمد وسعدى) مليح في معناه ، وله أشعار (٥) .

(١) بغية الملتبس (١٥٤) للضبي .

(٢) جذوة المقتبس (٣٥٠) للحميدى .

(٣) المرجع السابق (٢٥٧) للحميدى ط الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٤) المرجع السابق (٢٦١) .

(٥) المرجع السابق (١٤٩) .

ثانياً : تلاميذ الإمام ابن حزم :-

لقد كان ابن حزم في عدااء دائم مع علماء عصره ، لذلك نفرت منه القلوب ، فلم يقبل عليه إلا زُمرة صغيرة من طلاب العلم .
نذكر منهم :

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدي الحميدي الأندلسي الميُورقي ، الحافظ المشهور ، كان مؤرخاً ، وهو صاحب ابن حزم ومن أعظم تلاميذه ، رحل الى الشرق فنشر كتب ابن حزم هناك ، له تصانيف منها (أسماء رواة الحديث) و (تسهيل السبيل) وكتاب (جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس) ولد عام ٤٢٠ هـ وتوفي عام ٤٨٨ هـ (١) .

(٢) أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن حزم ، تتلمذ على يد أبيه وقد أكمل كتاب المحلى بالأدلة بعد وفاة أبيه ، وقد توفي عام ٤٧٩ هـ (٢) .

(٣) أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد النهري الطرطوشي ، أحد علماء المسلمين الأعلام ، ينسب الى (طرطوشة) من بلاد الأندلس ، نشأ بها وطلب العلم في البلاد الأندلسية ، وأخذ عن أبي الوليد الباجي وابن حزم ، ورحل الى المشرق ، وحج ولقى شيوخ العراق ، وأقام بالشام زمناً ودرس بها ، وله مؤلفات أعظمها (سراج الملوك) وله (كتاب البدع) توفي عام ٥٥٢ هـ ودفن بالإسكندرية . وكان مولده عام ٤٥١ هـ (٣) .

(١) راجع الأعلام (٣٢٧/٦) للزركلي ، وفيات الأعيان (٢٨٢/٤-٢٨٤) لابن خلكان .

(٢) راجع دائرة المعارف الإسلامية (١/٤٣) .

(٣) الأعلام (١٣٣/٦) للزركلي ، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٦٢/٤-٢٦٥) بغية الملتبس في تاريخ رجال

الأندلس (١٣٥) لابن عمير الصبي .

المطلب الرابع

أخلاق ابن حزم وصفاته

لقد اتَّصف ابن حزم بصفات وخلال كثيرة ، مكنَّته من أن يتصدر ، وأن ينال الإمامة في الدِّين ، وأن يتقدَّم في ضروب الفنون المختلفة .
وفي تقديرى أنَّ هذه الصفات والأخلاق ، بعضها جُبل عليها وبعضها الزَّم نفسه بها ، وأخرى كانت من واقع بيئته .
فأمَّا المواهب التى جُبل عليها فهى :-

حدَّة الذكاء وقوة الحافظة قال عنه الحافظ الذهبى^(١) : " ورزق ذكاء مفرطاً وذهناً سيالاً ، وكتباً نفيسة"^(٢) . وقال الحميدى^(٣) : " ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ"^(٤) فقد بلغ في الذكاء المنتهى في زمانه ، حتَّى خضع له أقرانه ، كيف لا وقد قال عنه مؤرخ الإسلام الذهبى " وأخضع لفرط ذكائه وسعة علمه"^(٥) وهذه الموهبة جعلته من أوعية العلم وحفاظه .

وكذلك مع حفظه كان حاضر البديهة جداً ، عميق الإدراك ، بعيد النظر شمولى الفكرة ، مما سهل عليه الخوض في علم المنطق وسبر أغواره . وهذه المواهب جعلته مجادلاً ومحاوراً لا يشق له غبار ، متفنناً بالحجج الشرعية والعقلية ، ومن يطلع على كتبه يدرك أنَّ ابن حزم له مقدرة عقلية جبارة واسعة الاستباط ، لا يسعك إلا أن تخضع لها كما أثنى عليه بذلك الكبار .

وأما الصفات والأخلاق التى الزم نفسه بها :-

وهى الإخلاص ، والتدين ، وكرم النفس ، والحشمة .

(١) هو : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى شمس الدين أبو عبد الله ، حافظ مؤرخ علامة محقق ، تركمانى الأصل ، مولده بدمشق عام ٦٧٣ ووفاته عام ٧٤٨ هـ له تصانيف كثيرة تبلغ المائة منها ، (دولة الإسلام) (تاريخ الإسلام الكبير) (سير أعلام النبلاء) (تذكرة الحفاظ) . راجع الأعلام (٣٢٦/٥) للزركلى - شذرات الذهب (٣/١٥٣- وما بعدها) لأبى الفلاح الحنبلى ط دار الفكر .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨٦/١٨) للذهبي .

(٣) سبق ترجمته ص (١٠) .

(٤) جذوة المقتبس (٣٠٨) للحميدى .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٨٦/١٨) .

قال ابن الفلاح^(١) معدداً ما امتاز به من الأخلاق : " مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد ، والرياسة ، والثروة ، وكثرة الكتب " (٢) .

وقال الحافظ الحميدى : " ما رأينا مثله فيما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ ، وكرم النفس ، والتدين " (٣) .

وكذلك كان من صفاته الصبر والمثابرة ، وقوة العزيمة في تحصيل العلم ونشره .

قال عن نفسه : " لأننا ولله الحمد والمنة أهل التخليص والبحث ، وقطع العمر في طلب تصحيح الحجة " (٤) .

وأما الأخلاق التى كانت بدفع من بيئته فهى :-

كان ابن حزم رغم (حديثه) فيه رقة ولين ولا سيما فيما كتبه في كتابه (طوق الحمامة) (٥) وبعض رسائله الأدبية ، ولعل هذا من بيئته ، فقد نشأ في كنف الجوارى ، وفي الرفاهية والتتعم . وكان كذلك زاهداً في الرياسة ومصانعة الحكام وطلب عطاياهم ولعل هذا يرجع أولاً : من إستغنائه عن الناس وعطاياهم بما ورثه من ثروة طائلة عن أسرته .

ثانياً : كثرة الفتن ودسائس الحكام ، وقد أصيبت أسرته بنصيب منها وهو أيضاً ، فذهد في السياسة وأهلها وانقطع للعلم والبحث .

وهذه بعض ملامح الجانب المشرق لشخصية الإمام ابن حزم . ولكن للعلماء عليه مآخذ نتناول منها الآتى :-

(١) ثقته المفرطة بنفسه وبما قرّره من مسائل والتزمه من منهاج ، يقول عن نفسه : " وهكذا نقول نحن إتباعاً لرينا عز وجل بعد صحة مذاهبنا لا شكاً فيها ولا خوفاً منا أن يأتينا أحد بما يفسدها ، ولكن ثقة منا بأنه لا يأتى أحد بما يعارضها به أبداً " (٦) .

(١) هو : عبد الحى بن أحمد بن العماد العكرى الحنبلى ، أبو الفلاح ، مؤرخ فقيه عالم بالأدب ولد بدمشق عام ١٠٣٢ هـ وتوفي حاجاً عام ١٠٨٩ وله كتاب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) راجع الأعلام (٢٩٠/٣)

(٢) شذور الذهب (٢٩٩/٢) لابن الفلاح الحنبلى ط دار الفكر بيروت .

(٣) جذوة المقتبس (٣٠٨) للحميدى .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام (٢٠/١) لابن حزم .

(٥) كَتَبَ ابن حزم كتابه هذا بأسلوب بارع ، دقيق الملاحظة ، مرهف الحس ، أوضح فيه العشق والوانه المختلفة وبين أفكاره النفسية وتجاربه الخاصة وهو مطبوع .

(٦) الإحكام (٢٠/١) لابن حزم .

وهذه الثقة المفرطة جعلته يقع في تناقض وشذوذ ، لأنه لا يبالى من يخالف طالما أنه سائر على منهجه .

(٢) تهكمه بالفقهاء واحتقاره لهم وإطلاق لسانه فيهم فقد كان ابن حزم حاداً في طرحه ، متهماً في جدله ، مما جر عليه نعمة الفقهاء .

قال أبو مروان بن حيان ^(١) : " وكان يحمل علمه ويجادل عنه من خالفه على استرسال في طباعه ، ومذل بأسراره ... ، فلم يكن يلطف صدعه بما عنده بتعريض ، ولا بتدريج بل يصك به من عارضه ، صك الجنجل ، وينشقه إنشاق الخردل ، فتتفر عنه القلوب وتوقع به الندوب ، حتى استهدف لفقهاء وقته " ^(٢) .

قال الحافظ الذهبي ^(٣) : " وبسط لسانه وقلمه ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب بل فجج العبارة وسب وجدع فكان جزاؤه من جنس فعله " ^(٤) .

وفي تقديرى أن سبب هذه الحدة والتهكم ترجع إلى أمرين :

الأمر الأول : الثقة المفرطة بنفسه وذكائه وقوة حافظته مع الاستعداد النفسى والعاطفى . يقول ابن حزم : " لقد أصابتى علة شديدة ولدت في ربوا في الطحال شديداً ، فولد ذلك على من الضجر ، وضيق الخلق ، وقلة الصبر والنزق " ^(٥) .

الأمر الثانى : بيئة ابن حزم حيث إنه لم يرحل قط إلى المشرق حيث مهد العلوم وكان هناك العلماء الجامعون بين العلوم العقلية والنقلية .

أمّا الأندلس فكان فيها طرفاً من العلم ، لأنّ التقليد قد حجر على ملكات العلماء ، وأمّا ابن حزم صاحب الملكات العظيمة أخذ ينظر إلى هؤلاء العلماء نظرة تهكمية ، ولا سيما أن بعضهم مال إلى الحكام ، والبعض منهم يأتى بطوام المسائل المضحكة كما ذكر ابن حزم في الجزء الخامس من الإحكام صفحة ١٦٣ قائلاً : " وقد كنا نعجب من قول شيخ من شيوخهم أدركناه مقدماً في مشاورة القضاء - ثم ذكر له كتاباً - فكان في بعض ما أورد فيه أن قال : " رويانا بأسانيد صحاح الى التوراة أن السماء والأرض بكتا على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة " .

(١) راجع ترجمته ص (٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠٠/٨) .

(٣) سبق ترجمته ص (١١) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨٦/١٨) للذهبي .

(٥) مداواة النفوس (٥٤) لابن حزم ط

فبهذا ومثله جعل ابن حزم يتهم عليهم بل نجد أنه كلما جادلهم اندفع أكثر في نقدهم (١) .

لذلك قال ابن العربي (٢) ذمماً له : " واتفق كونه بين قوم لا بصر لهم إلا المسائل ، فإذا طالبهم بالدليل كاعوا فيتضاحك مع أصحابه منهم " (٣) .

ولكن ابن حزم لم ينته عند هؤلاء الفقهاء المعاصرين له بل بسط لسانه بسطاً منكراً حتى على الكبار .

لذلك أقول لقد دبج ابن حزم كتبه بكثير من الأقوال التي لم يلتبس فيها العذر لمن خالفه ، بل كان حاداً غليظاً ، فانصرف الناس عنه وانفضوا من حوله .

وقد عبر عن هذا المعنى الحافظ الذهبي بعبارة دقيقة : " واعتنى بها آخرون - كتب ابن حزم - من العلماء ، وفتشوها إنتقاداً واستفادة ، وأخذاً ومؤاخظة ، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز (٤) المهيئ فتارة يطربون ومرة يعجبون ومن تفرده يهزؤون ، وفي الجملة فالكمال عزيز " (٥) .

وفي تقديري أن هذه الصفة السلبية أعاققت فقه الإمام ابن حزم من الإنطلاق في آفاقه الرحبة .

ولكن مع كل ذلك ظل الإمام المجتهد الحافظ ابن حزم ، فريداً لما حباه الله من صفات عظيمة ، وبما حملة من علم سطر لنفسه حروفاً من نور في ذاكرة التاريخ على مر العصور .

ولكن ظل هذا إعجاباً بشخصية ابن حزم لا إعجاباً بكل منهجه .

(١) يقول ابن حزم : " ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة وهي أنه قد توقد طبعي ، واحتدم خاطري ، وحمى فكري ، وتهيج نشاطي فكان ذلك سبباً الى تواليف عظيمة النفع " رسالة مداواة النفوس ص ٣٠ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الله محدث أندلسي ولد بإشبيلية عام ٤٦٨ رحل إلى الشام ودرس على يد الغزالي والطرطوش توفي عام ٥٤٣ وله تصانيف منها : أحكام القرآن (وكتاب (القبس في شرح موطأ مالك ابن أنس) . راجع بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس (٩٢) للصبى .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨٩/١٨) .

(٤) الرصف الحجارة مرصوفة بعضها إلى بعض في مسيل ، فيجتمع فيها المطر - تاج العروس (١١٧/٦) - الخرز ، فصوص من جيد الجوهر وردية من الحجارة - لسان العرب (٥٨/٤) لابن منظور .

(٥) المرجع السابق (١٨٦/١٨-١٨٧) .

البحث الثاني

عصر الإمام ابن حزم

(فيه ثلاثة مطالب)

- المطلب الأول : الحياة السياسية في عصر ابن حزم .
- المطلب الثاني : الحياة الاجتماعية في عصر ابن حزم .
- المطلب الثالث : الحياة العلمية في عصر ابن حزم .

المطلب الأول

الحياة السياسية في عصر ابن حزم

كانت الحياة السياسية في الأندلس في مطلع القرن الخامس الهجري كالشمس حين غروبها ، أو كنجم أفل بعد أن لاح بضيائه في كبد السماء ، وبعد طول عزٍّ ومجدٍ سقطت شجرة الخلافة ، ووقع الخلاف وطمع الأوباش في الحكم .

لذلك نجد أنَّ الحقبة التي عاش فيها ابن حزم هي بداية الإنهيار الكبير فقد بدأت الخلافة بالأندلس منذ إعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة الأموية بالأندلس عام ٣١٦هـ حتى سنة ٤٠٠هـ ، وهو عهد ملوك الطوائف والذي إمتد إلى سنة ٤٨٤هـ وقد وقعت في هذه الفترة حوادث يشيب لها الولدان ، وإليك صورة مختصرة منها (١) .

ففي عام ٣٥٠هـ توفي عبد الرحمن الناصر (٢) أوَّل الخلفاء الأمويين وأعظمهم ثم تولى من بعده ابنه الحكم وتلقب (بالمستنصر بالله) (٣) وسار على سيرة أبيه وفي عام ٣٦٦هـ توفي الحكم، وتولى من بعده ابنه هشام بن الحكم ولقب (بالمؤيد) (٤) وكان صغيراً مناهزاً للحلم، ممّا مكن حاجبه محمد بن أبي عامر أن يستبد بالحكم والدولة وتلقب (بالمنصور) (٥) وحجر على الخليفة، وكان والد ابن حزم وزيراً لمحمد بن أبي عامر .

وفي عام ٣٩٢هـ توفي المنصور العامري وتولى من بعده ابنه عبد الملك وتلقب (بالمظفر) (٦) وحكم سبع سنوات ثم تولى من بعده أخوه عبد الرحمن بن محمد عام

* حتى سقطت نهائياً عام ٤٢٢هـ .

(١) مختصر من تاريخ ابن خلدون (١٨٥/٥) لابن خلدون مع ذكر فوائد من غيره .

(٢) هو : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، تسمي بأمير المؤمنين ، وتلقب بالناصر لدين الله وكان يكنى أبا المطرف ، صارت جميع أقطار الأندلس في طاعته ، توفي في سنة ٣٥٠هـ . الجذوة (١٢-١٣) .

(٣) هو : الحكم بن عبد الرحمن بن عبد الله تولى وعمره سبع وأربعون عاماً ، تكنى أبا العاص ، توفي عام ٣٦٦هـ جذوة المقتبس (١٣-١٦) .

(٤) هو : هشام بن الحكم بن عبد الرحمن ، يكنى أبا الوليد ، ولى وعمره عشر أعوام ، قتل في شوال عام

٤٠٣هـ . جذوة المقتبس (١٧) .

(٥) راجع ترجمته ص (٣) .

(٦) راجع ترجمته ص (٤) .

٣٩٩هـ وتلقب (بالناصر لدين الله)^(١) وبتوليّه الحكم بدأ ، الإضطراب السياسى والفوضى لأنّه أراد أن يطلب الخلافة لنفسه ، فثار عليه الأمويون والقرشيون ، فعزلوا الخليفة هشام (المؤيد) ، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ولقبوه (بالمهدى)^(٢) وقبض على (الناصر) وذهبت دولة العامريين سنة ٣٩٩هـ ، ولكن بعد أن فقدت الخلافة الأموية هيبتها ومكانتها .

وفي عام ٤٠٠هـ ثار الجند من البربر على الخليفة (المهدى) وبايعوا سليمان بن الحكم الملقب (بالمستعين بالله)^(٣) واستعانوا بالنصارى فدخلوا قرطبة ، وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد الكثير ، ولكن في شوال من نفس العام استطاع الخليفة (المهدى) وبمعونة النصارى أيضاً أن يدخل قرطبة ويطرده البربر ومعهم (المستعين) وفي ذى الحجة عام ٤٠٠هـ ثار الناس على (المهدى) وقتلوه واجتمعوا على تجديد البيعة للخليفة المخلوع هشام بن الحكم (المؤيد)^(٤) وفي هذه الأثناء كان الجند من البربر يحاصرون قرطبة حتى جهد أهل قرطبة وفي عام ٤٠٣هـ تمكن البربر من اقتحام قرطبة عنوة وفتكوا (بالمؤيد) ونصبوا (المستعين بالله) خليفة ، وتوثب البرابرة والعبيد على الأعمال فحكموا المدن العظيمة ، وصار الملك طوائف منذ عهد هذه الفتنة .

وفي عام ٤٠٧هـ ثار عليّ بن حمود وتلقب (بالناصر)^(٥) وملك قرطبة وأسس دولة بنى حمود والتي إمتدت لسبع سنوات .

وفي عام ٤١٤هـ ثار أهل قرطبة على بنى حمود ، واتفقوا على رد الخلافة الى بنى أميّة فبايعوا عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ولقبوه (بالمستظهر)^(٦) وبعد

(١) هو : عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب بالناصر الأمير بعد أخيه عبد الملك ، توفي مقتولاً في رجب سنة ٣٩٩هـ قتله محمد بن هشام وصلبه . راجع بغية الملتبس (٣٥٦) للضبى .

(٢) محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ولى عام ٣٩٩هـ ، ويكنى أبا الوليد قتل بعد ستة عشر شهراً من ولايته وكانت ولادته عام ٣٦٦هـ . راجع جذوة المقتبس (١٨-١٩) .

(٣) سبق ترجمته ص (٥) .

(٤) سبق ترجمته ص (١٦) .

(٥) سبق ترجمته ص (٥) .

(٦) سبق ترجمته ص (٦) .

شهرين من ولايته ثار عليه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر والعامّة
وفتكوا به وبويع لمحمد وتلقب (بالمستكفي)^(١) .

عام ٤١٦ هـ رجع الأمر الى يحيى بن على بن حمود وتلقب (بالمستعلى)^(٢) .
وفي عام ٤١٧ هـ خلع أهل قرطبة يحيى بن حمود ، وبايع عميد الجماعة أبو محمد
جهور^(٣) لهشام بن محمد بن عبد الملك وتلقب (بالمعتمد)^(٤) .
وفي عام ٤٢٢ هـ خلع الجند الخليفة (المعتمد) وانقطعت بذلك دولة بني أمية
نهائياً وإناً لله وإناً إليه راجعون .

وقد قام بالأمر بعد خلع الخليفة أبو محمد جهور ، فرتب الأمر وكان على سنن الفضل .
وفي عام ٤٣٥ هـ تولى الوليد بن محمد^(٥) وسار على سنن أبيه ثم فوض الأمر
إلى ابنه عبد الملك^(٦) . ثم كان عام ٤٦١ هـ حيث خلع عبد الملك لأنّه أساء السيرة
وتكره إلى الناس ، وهذه الفتن والظلمات تتابعت حتى سقطت الأندلس .
أمّا ابن حزم السياسي فكان يعقد ولاءه لبني أمية وهذا شأن أسرته منذ دخولهم
الأندلس ، فكان بهذا وزيراً للأمويين كما كان أبوه وابن عمه .
فقد كان ابن حزم وزيراً للخليفة عبد الرحمن بن هشام (المستظهر) ولكن الفتن
لم تمهل هذا الخليفة أكثر من شهرين .

ومن هنا اعتزل ابن حزم السياسة والوزارة عام ٤١٤ هـ^(٧) وكان عمره ثلاثين
عاماً وتفرغ للعلم والتحقيق^(٨) .

(١) هو : محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ، ولى وله ثمان وأربعون عاماً ، ولد عام ٣٦٦ هـ ، طرد من
قرطبة ومات مقتولاً . جذوة المقتبس (٢٦) للحميدى .

(٢) هو : يحيى بن على بن حمود بن ميمون بن أحمد كنيته أبو محمد أو أبو القاسم ، تسمى بالخلافة بقرطبة
عام ٤١٣ هـ بعد أن ثار على عمه القاسم ، هرب عن قرطبة عام ٤١٤ هـ وقتل عام ٤٢٠ هـ . الجذوة (٢٤) .

(٣) هو : أبو الحزم جهور بن عبد الله بن محمّد كان من وزراء الدولة العامرية ، تكنى أبا محمد ، توفي عام
٤٣٥ هـ . جذوة المقتبس (٢٧) (١٨٨) .

(٤) هو : أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر (أخو المرتضى) تلقب بالمعتمد ،
كان مولده سنة ٣٦٤ هـ خلعه الجند سنة ٤٢٠ هـ وبقي معتقلاً إلى أن مات عام ٤٢٧ هـ . جذوة المقتبس (٢٨) .

(٥) هو : الوليد بن جهور بن محمد تلقب بالرشيد ، تولى بعد أبيه واستمر إلى عام ٤٥٧ هـ فولّى ابنه عبد
الرحمن وعبد الملك توفي عام ٤٦٢ هـ . الأعوام (٧٤/٦) جذوة المقتبس (٢٩) .

(٦) هو : عبد الملك بن الوليد محمد بن جهور تولى في عهد أبوه حتى أخرج من قرطبة عام ٤٦١ هـ . الأعلام (٧٤/٦) .

(٧) ذكر ذلك أبو القاسم بن صاعد . راجع سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٨) .

(٨) يذكر ياقوت الحموى أنّه أيضاً تولى الأمر للخليفة المعتمد والذي خلع عام ٤٢٢ هـ . معجم الأدباء (٢٣٧/١٢)

المطلب الثاني

الحياة الاجتماعية في عصر ابن حزم

كان المجتمع الأندلسي متعدد الأعراق، ومختلف المواهب جمع بين سكان البلاد الأصليين وبين العرب والبربر الوافدين فجمعوا بين خواص كل فئة ، يقول المقرئ^(١): " أهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والإنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن، وطيب النفوس، وإباء الضيم، وقلة احتمال الأذى والسماحة بما في أيديهم، هنديون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم لها، وضبطهم لها، وروايتهم، بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم، ونباهتهم وذكائهم، يونانيون في استتباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناس الفواكه، وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال... " (٢) .

وكان كثرة النعيم وطيب المناخ ، واتساع الفتوحات أكثرت من الجوارى الحسان المثقفات ثقافة عالية ، لذلك نجد أن ابن حزم يصور لنا في كتابه طوق الحمامة^(٣) طرفاً من مظاهر التمتع في مجتمعه وفي مثل هذه الأجواء كثر الطرب واللهو وتقاوت النساء الشعر حتى أنه ظهر من العربيات بل والأمويات من يتغزلن بالشعر ، ويتقبلن الغزل شعراً ونثراً وهذه ولادة بنت المستكفي^(٤) مثلاً لذلك. ولكن المجتمعات عندما تكثر فيها الفتن وتتفكك الأحوال السياسية، يضمحل المجتمع وينحط عطاؤه وتصبح تركيبته السكانية مصدر فرقة وتشرزم بعد أن كانت قوة وتقدم. لذلك نجد أن الأعراق المختلفة، من عرب، وبربر، وصقالبة وإسبان في ظل الانهيار السياسي أصبحوا مصدراً للاضطراب الاجتماعي . وعموماً لم يكن المجتمع الأندلسي في عصر الإمام ابن حزم مجتمعاً مثالياً رغم ما امتازوا به ، لانعكاس ظلال الاضطراب السياسي الحاد على النسيج الاجتماعي . فرفع المجتمع من كان وضعياً جاهلاً ، ووضع من كان علماً رفيعاً.

(١) هو : أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أديب المغرب وحافظه صاحب كتاب (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب) توفي عام ١٠٤١ هـ . راجع الأعلام (٢٣٧/١) للزركلي .

(٢) ذكره المقرئ نقلاً عن صاحب الفرحة . راجع نفع الطيب (١٤٦/٤-١٤٧) للمقرئ .

(٣) هذا الكتاب لا يكشف عن شخصية ابن حزم فحسب ، بل يعطينا صورة شيقة لناعية من نواحي الحياة في عصره لا يعرف عنها إلا القليل حيث أكثر فيه من القصص التي تمس العامة والخاصة .

(٤) ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي ، شاعره أندلسية من بيت الخلافة كانت تخالط الشعراء وتساجلهم ، توفيت بقرطبة عام ٤٨٤ هـ . راجع أعلام النبلاء (١١٨/٨) للزركلي .

المطلب الثالث

الحياة العلمية والفكرية في عصر ابن حزم

أمّا أهل الأندلس في فنون العلم فإنّهم أحرص النّاس على التّمييز فالعالم عندهم معظّم من الخاصّة والعامة ، ومع هذا فليس لهم مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرأون جميع العلوم في المساجد .

وكل العلوم عندهم حظ فيها واعتناء إلّا الفلسفة والتّنجيم ، فإنّ لهما حظاً عظيماً عند الخواص ، وقراءة القرآن عندهم بالسبع ، ورواية الحديث عندهم رفيعة ، وللفقه رونقه وجاهه ، ولا مذهب عندهم إلّا مذهب الإمام مالك ، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به عند مجالس ملوكهم .

وسمة الفقيه عندهم جليلة ، وقد يقولون للكاتب والنّحوي واللّغوي فقيه لأنّها عندهم أرفع السمات ، وعلم الأصول عندهم متوسط الحال والنّحو عندهم في نهاية علوّ الطبقة ، وكل عالم في أى علم لا يكون متمكناً في علم النحو فليس عندهم بمستحقّ للتمييز ^(١) .

يقول ابن حزم عن العلم والعلماء في عصره :-

" كانوا في الذّروة العليا من التّمكن بأفانين العلوم وفي الغاية القصوى من التّحكم على وجوه المعارف ، وكان أهل الأندلس من التّمكن في علوم القراءات والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصرة بالنحو والشعر واللغة والطب والحساب والنجوم " ^(٢) .

نجد أنّ عصر ابن حزم يُعنى بالعلوم ويضع لها مكانة سامية، فكان له الأثر الكبير والحسن في نشأة ابن حزم نشأة علميّة راسخة متزنة تتسم بالشمول لكل العلوم . وكان احتكاك المسلمين بالنصارى واليهود وغيرهم في الأندلس مكنت ابن حزم من أن يتضلع في علوم الملل والنحل وأن يجرّد الكتب القيّمة .

^(١) بتصرف من : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب (١/٢٠٥-٢٠٦) للحافظ أحمد بن محمد المقرئ المغربي المالكي - ط دار الكتاب العربي بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

^(٢) رسالة رد ابن حزم على ابن الزبيب المنشورة في نفح الطيب (٤/١٥٤-١٧٠) بتحدّث فيها ابن حزم عن فضل الأندلس وعلمائهم ومكانتهم .

وكذلك اعتنى الخلفاء والأمراء بجمع الكتب والمكتبات، فقد قال ابن حزم في عظم مكتبات الأندلس .

" أخبرني تليد الحصى وكان على خزانة العلم والكتب بداريني مروان إنَّ عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة . وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير " (١) .

فهذه البيئة العلمية المليئة بالمراجع والكتب ، مكنت ابن حزم من أن يطلع وأن ينهل حتى يرتوى من علم أهل المشرق وأن يتتلمذ على كتب الأحناف والشافعية ، فكتبه تدل على أنه الخبير وأسع الاطلاع على مسائل الفقهاء .

(١) ابن حزم (٩٩) لابی زهرة .

المجلد الثالث

مكتبة ابن خزمرة العلمية

(وفيه ثلاثة مطالب)

المطلب الأول : العلوم الإسلامية والعربية

المطلب الثاني : العلوم الإنسانية والاجتماعية

المطلب الثالث : العلوم العقلية والفكرية

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

إنَّ ابنَ حزم كان رجلاً في أمة ، وأمة في رجل ، فهو مفسر مع المفسرين ، ومحدِّث مع المحدِّثين ، وحافظ مع الحفاظ ، وفقه مع الفقهاء ، ومقرئ مع المقرئين ، وأصولي مع الأصوليين ، ومتكلِّم مع المتكلِّمين ، وفيلسوف مع الفلاسفة ، وحكيم مع الحكماء ، وزاهد مع الزهاد ، وعابد مع العباد ، وداع مع الدعاة ، وأديب مع الأدباء ، ولغوي مع اللغويين ، وكاتب مع الكتاب ، وشاعر مع الشعراء ، وخطيب مع الخطباء ، ومؤرخ مع المؤرخين ، ووزير مع الوزراء .

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَبْعَدٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

فقد كان الرجل موسوعة وبحراً خضماً ، وأفقاً متسعاً ، وهمةً عاليةً ، جمع من العلوم ما قصر عن جمعه العلماء ، وفاق علماء عصره شمولاً واتساعاً في العلم ، وتقدّمهم تخصصاً وتحقيقاً ، وأعجزهم عن أن يدركوه كتابةً وتأليفاً .

حتَّى أَنَّهُ قِيلَ اجتمع عند ابنه الفضل^(١) بخط يد أبيه أربعمئة مجلد تشتمل على حوالي ثمانين ألف ورقة ، في الفقه والحديث ... والأصول ... والملل والنحل ، والسير والتاريخ ، وغيرها من معارف ابن حزم الواسعة في النسب ... والأدب ... والمنطق ... والطب .

وهذا شيء ما علم لأحد ممن كان قبله في الإسلام إلاّ ابن جرير الطبري^(٢) .
ولكن أقول : إنّ ابن حزم فاق الطبري تنوعاً في فنون العلوم العقلية والنقلية ، لأنّ عائمة ما كتبه الطبري في التاريخ والنسب .

(١) سبق ترجمته ص (١٠) .

(٢) هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام ، ولد في (أمل طبرستان) واستوطن بغداد ، عرض عليه القضاء فأبى ، كان مولده عام ٢٢٤هـ . ووفاته ٣١٠هـ وهو من ثقات المؤرخين ، قال ابن الأثير : أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ ، وتفسيره يدل على علم غزير وتحقيق ، وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً وله المصنفات (أخبار الرسل والملوك) ويعرف بتاريخ الطبري و (جامع البيان في تفسير القرآن) . راجع الأعلام (٦٩/١) للزركلي - وفيات الأعيان (١٩١/٤ - ١٩٢) لابن خلكان .

(٣) معجم الأدباء (٢٣٩/١٢) لياقوت .

المطلب الأول

العلوم الإسلامية والعربية

أولاً : القرآن والتفسير :-

لقد حفظ ابن حزم القرآن صغيراً وتربى عليه يافعاً فقد قال عن نفسه : " ولا جالسُ الرجال إلّا وأنا في حد الشباب وحين تفل وجهي وهنّ - الجوارى والقريبات - علمنني القرآن ، وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط " (١) .
وكان له إلمام بالقراءات فقد ألف فيها رسالة (القراءات المشهورة في الأمصار الأتية مجي التواتر) (٢) .

وكان ابن حزم ذا مقدرة فذة في الاستدلال بالقرآن ، وأخذ الأحكام من نصوصه ومعرفة مدلولاتها ، وله إطلاع على الناسخ والمنسوخ وله في ذلك كتاب مشهور متداول (٣) ، وأيضاً له إطلاع واسع في التفسير مما مكنه من أن يرجح بين التفاسير حيث يقول في معرض ذكره لعلماء الأندلس وما ألفوه : " وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد (٤) فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثنى فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسيراً مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره " (٥) .

ثانياً : الحديث وعلومه :-

كان ابن حزم قوى الضبط وأسع الحفظ ، ذا همة عالية مما مكنه من جمع ثروة ضخمة جداً من الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين ، مع المعرفة بالرجال والاسانيد وعلل الحديث .

(١) طوق الحمامة (٥٠) لابن حزم ط المكتبة التجارية الكبرى بتحقيق : حسن كامل الصرفي .

(٢) وهي رسالة مطبوعة بزيل كتاب جوامع السيرة . بتحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد ط دار المعارف .

(٣) مطبوع على هامش تفسير الجلالين ط .

(٤) هو : بقي بن مخلد أبو عبد الرحمن ، من حفاظ المحدثين ومن أئمة الدين والزهاد الصالحين رحل إلى المشرق ، وروى عن الأعلام منهم أحمد بن حنبل وابن أبي شيبة ، وكتب المصنفات الكبار وبالع في الجمع والرواية ، ورجع إلى الأندلس فملاها علماً . راجع جذوة المقتبس (١٧٧) للحميدى .

(٥) جذوة المقتبس (١٧٧) للحميدى ط الدار المصرية للتأليف والترجمة .

فبلغ رحمه الله مرتبة المحدثين الحافظ فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ قائلاً:
" الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد " (١) .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية : " هو الإمام الحافظ العلامة " (٢) .
وتروى لنا كتب الرجال أنه بدأ في طلب الحديث مبكراً فقد سمع الحديث وعمره يقارب
السادسة عشرة (٣) .

وكان رحمه الله معتبياً بالحديث لأنه العمدة في استدلاله من غير تعريج إلى
الاجتهاد بالرأى ، وكان مستفرغاً الجهد في تحري الحديث الصحيح .
يقول الذهبي : " ولى أنا ميل إلى أبي محمد لمحبهته في الحديث الصحيح ومعرفته
به " (٤) .

ولكن ممّا يعاب على ابن حزم أنه مع حفظه وضبطه وقع في زلات في علم
الحديث ، ولعل السبب في ذلك ثقته المفرطة بذاكرته واعتماده الكلى عليها مع إقدامه
على التعديل والتخريج .

قال الحافظ ابن حجر (٥) : " وكان واسع الحفظ جداً إلا أنه ثقة حافظته كان يهجم
كالقول في التعديل والتخريج وتبين أسماء الرواة فيقع له في ذلك أوهام شنيعة " (٦) .
ولكن هذا لا يقدح في ذكائه وسعة علمه بالحديث وحفظه .

كما قال الذهبي : " وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل
والمسائل البشعة في الأصول والفروع ، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة ، ولكن لا

(١) تذكرة الحفاظ (١١٤٦/٣) للذهبي .

(٢) البداية والنهاية (٩٨/١٢) لابن كثير .

(٣) قال الذهبي : ولد أبو محمد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاث مائة . وسمع في سنة أربع مائة وبعبدها من طائفة
منهم يحي بن مسعود بن وجنة ، صاحب قاسم بن أصبغ فهو أعلى شيخ عنده ، ومن أبي عمر أحمد بن محمد
بن الجسور ... ، وينزل إلى أن يروى عن أبي عمر بن عبد البر ، وأحمد بن عمر بن أنس العذري ، وأجود
ما عنده من الكتب سنن النسائي ... ، وأنزل ما عنده (صحيح مسلم) بينه وبينه خمسة رجال ، وأعلى ما
رأيت له حديث بينه وبين وكيع فيه ثلاثة أنفس . سير أعلام النبلاء (١٨٥/١٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٠٢-٢٠١/١٨) للحافظ الذهبي .

(٥) هو : أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلانى ، أبو الفضل ، شهاب الدين ابن حجر من أئمة العلم
والتاريخ ، حجة في الحديث ، مؤرخ ، فقيه شافعي ، ولد عام ٧٧٣هـ في مصر ، ودرس على أعظم شيوخ
عصره كالبلقيني ، وعز الدين بن جماعة ، توفى عام ٨٥٢ . راجع الأعلام (١٧٨/١) للزركلى - شذرات
الذهب (٢٧٠/٤) لابن العماد الحنبلى ط دار الفكر .

(٦) لسان الميزان (١٩٨/٤) لابن حجر العسقلانى .

أكفره ، ولا أضله ، وأرجو له العفو والمسامحة للمسلمين ، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه " (١) .

وله من كتب الحديث ، كتاب مختصر علل الحديث ، وكتاب تسمية شيوخ مالك وكتاب الجامع في صحيح الحديث ، وكتاب عدد ما يكل صاحب في مسند بقي ، وكتاب أسماء الصحابة والرواة .

ثانياً : الفقه :-

كان ابن حزم فقيهاً مستتبهاً للأحكام مطلعاً على فقه الأقدمين جامعاً لفقه المذاهب الأربعة وله إطلاع واسع لأقوالهم وتفرعاتهم .

فحسبك في ذلك كتاب (المحلى بالأدلة) ولا مزيد ، وكيف إذا علمنا أن المحلى مع ضخامته مختصر من كتاب (الإيصال الى فهم كتاب الخصال) .

قال ابن عميرة الضبي (٢) : " وألف في فقه الحديث كتاباً كبيراً سماه كتاب الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع ، أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين من مسائل الفقه والحجة لكل طائفة . " (٣) .

لقد كان ابن حزم متخصصاً في الفقه ، خبيراً بفقه الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ، وقد بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق .

قال الذهبي عنه : " فناظر أحسن مناظرة ، وقال فيها : أنا أتبع الحق واجتهد ولا أتقيد بمذهب " (٤) .

فابن حزم له فقه متميز له لون خاص وله آراء فقهية ليست في فقه الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، لأنه يخالف الفقهاء الأصوليين في كثير من المسائل الأصولية لذلك كان لابد أن يباينهم في كثير من المسائل الفرعية .

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠٢/١٨) للحافظ الذهبي .

(٢) هو : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، أبو جعفر الضبي ، مؤرخ من علماء الأندلس رحل إلى شمال أفريقيا والاسكندرية ، وله من المصنفات (بغية الملتبس في تاريخ الأندلس) توفي عام ٥٩٩ بمدينة مرسية (بالأندلس) . راجع الأعلام (٢٦٨/١) للزركلي .

(٣) بغية الملتبس (٤١٥-٤١٦) للضبي .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/١٩١) .

وله من كتب الفقه كتاب (التصفح في الفقه) وكتاب (الخصال الحافظ لجمل شرائع الإسلام) ، وأما كتاب (المحلى في شرح المجلى بالحجج) في ثمان مجلدات قال فيه العز بن عبد السلام^(١) : " ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل (المحلى) لابن حزم وكتاب (المغنى) للشيخ موفق الدين^(٢) .
قال الذهبي : " صدق الشيخ عز الدين ، وثالثهما (السنن الكبير) للبيهقي^(٣) ورابعهما (التمهيد) لابن عبد البر^(٤) فمن حصل هذه الدواوين ، وكان من أذكى المفتين ، وأدمن المطالعة فيها ، فهو العالم حقاً " ^(٥) .
رابعاً : اللغة العربية والأدب والشعر :-

إنَّ من كمال العلم وتمامه ، فصاحة اللسان ، وقوة البيان والذَّيْن بهما يصدع بالحق ويستبان العلم .
فقد كان ابن حزم الذي جمع مادة الاجتهاد وآلته شاعراً مفوهاً، وخطيباً مقدماً ، وأديباً متفرداً ، وكاتباً أريباً .

(١) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الحسن السلمي الدمشقي عز الدين؛ الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ولد عام ٥٧٧ ونشأ في دمشق توفي عام ٦٦٠ هـ ومن تصانيفه (التفسير الكبير) و(الإمام في أدلة الأحكام) . راجع الأعلام (٢١/٤) للزركلي - شذرات الذهب (٣٠١/٣) لابن الفلاح الحنبلي ط دار الفكر .

(٢) هو : عبد الله محمد بن قدامة الجماعي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي أبو محمد ، موفق الدين ، فقيه من أكابر الحنابلة ولد في (جماعيل) في فلسطين عام ٥٤١ هـ وتعلم في دمشق ، ورحل الى بغداد ، توفي بدمشق عام ٦٢٠ هـ وله تصانيف كثيرة منها (المغنى) شرح به مختصر الخرقى في الفقه ، و (المقنع) : (ذم ما عليه مدعو التصوق) ، (ذم التأويل) ، (ذم الموسوسين) ، (الكافية في الفقه) . راجع الأعلام (٦٧/٤) للزركلي - شذرات الذهب (٨٨/٣) لأبن الفلاح الحنبلي .

(٣) هو : أحمد بن الحسين أبو علي ، أبو بكر من أئمة الحديث ، ولد في (خسر وجدد) بنيسابور رحل إلى بغداد ثم الكوفة ومكة ، قال عنه إمام الحرمين : ما من شافعي إلا وللشافعي عليه فضل غير البيهقي فإنَّ له المنَّة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصر مذهبه وبسط موجزه وقال الذهبي : لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف وله من التصانيف ألف جزء منها السنن الصغرى ، والأسماء والصفات ، ولد عام ٣٨٤ هـ وتوفي عام ٤٥٨ هـ . راجع الأعلام (١١٦/١) للزركلي - وفيات الأعيان (٧٥-٧٦) لابن خلكان .

(٤) هو : الإمام حافظ الأندلسي ، فخر المالكية ، شيخ الإسلام ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله النمرى الأندلسي القرطبي المالكي صاحب التاليف العديدة النظر في الإسلام ولد عام ٣٦٨ هـ وتوفي عام ٤٦٣ هـ . راجع فهرس الفهارس والإثبات (٨٤٣/٢) - الوفيات (٦٦/٧) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٨/١٩٣) للحافظ الذهبي .

فقد كان الأدب والشعر بضاعته وصناعته قبل العلم ، وشرب من كأسه في صباه قبل أن يتضرع من بحور العلم .

قال الحافظ ابن حجر^(١) : " وأشتغل في صباه بالأدب والمنطق والعربية ، وقال الشعر وترسل ، ثم أقبل على العلم " ^(٢) .

وقال الذهبي : " وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر " ^(٣) .

وقال تلميذه الحميدى^(٤) : " وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه وشعره كثير جمعته على حروف المعجم " ^(٥) .

وقال أبو القاسم صاعد^(٦) : " كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ... ، مع توسع في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر " ^(٧) .

وله في ذلك كتيب منها (بيان الفصاحة والبلاغة) (شئ في العروض) (التعقيب على الأفلح في شرحه لديوان المتنبي) (مؤلف في الظاء والضاد) .

^(١) سبق ترجمته ص (٢٥) .

^(٢) لسان الميزان (١٩٨/٤) لان حجر .

^(٣) سير أعلام النبلاء (١٨٦/١٨) للذهبي .

^(٤) سبق ترجمته ص (١٠) .

^(٥) جذوة المقتبس (٣٠٨) للحميدى .

^(٦) هو : صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسي التغلبي ، أبو القاسم مؤرخ بحاث أصله من قرطبة ، ومولده في المرية ، ولى القضاء إلى أن توفي ومن كتبه (جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم) (صوان الحكم في طبقات الحكماء) (تاريخ الأندلس) وكان مولده عام ٤٢٠ هـ ووفاته عام ٤٦٢ هـ . الأعلام (١٨٦/٣) للزركلى .

^(٧) سير أعلام النبلاء (١٨٧/١٨) للذهبي .

المطلب الثاني

العلوم الإنسانية والاجتماعية

التاريخ - الأنساب - الملل والنحل - الطب

قال اليسع بن حزم الغافقي ^(١) : " أمّا محفوضه فبحر عجاج وماء ثجاج ... ،
لقد حفظ علوم المسلمين ، وأربى على كل أهل دين ، وألف (الملل والنحل) ^(٢) .
فقد كان ابن حزم بحق جامعة متفردة ، وجبلاً راسخاً من أى الفجاج أتيته
وجدته شامخاً إلى السماء .

ففي التاريخ كان له إلمام وآسع وإطلاع متحقق ، وكانت له كتبٌ فيه ، حتّى أنّه
كتب في أدق فروعه وهى الأنساب وله كتاب مشهور متداول وهو كتاب (جمهرة
أنساب العرب) ^(٣) ، كتب فيه كتابة المتمكن المستوعب الذى استولى على أبواب العلم
استيلاءً .

قال ابن صاعد ^(٤) : " وله مع ذلك توسع في علم البيان وحظ في البلاغة ،
ومعرفة بالسير والأنساب " ^(٥) وكانت له كتب في التاريخ منها (جوامع السير) ^(٦)
(أسماء الخلفاء) (أمهات الخلفاء) (نسب البربر) .

وقد ألف ابن حزم في الملل والنحل كتاباً مشهوراً متداولاً يدل على سعة علمه
وإطلاعه على مناهج وعقائد الأمم السابقة ، وهو كتاب (الفصل في الملل والنحل) ^(٧)
فريد في بابه ومنهجه ، وهو عبارة عن تاريخ انتقادي للمذاهب البشرية .

وله أيضاً كتاب (إظهار تبديل اليهود والنصارى) قال عنه ابن صاعد : "
وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من
ذلك مما يحتمل التأويل ، وهذا مما سبق إليه " ^(٨) .

^(١) سبق ترجمته ص (٤) .

^(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/١٩٠) للذهبي .

^(٣) نشرته دار المعارف بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

^(٤) سبق ترجمته ص (٢٨) .

^(٥) سير أعلام النبلاء (١٨٧/١٨) للذهبي .

^(٦) طبع بدار المعارف بتحقيق الدكتورين: إحسان عباس ، وناصر الأسد ، وبهامشه خمسة رسائل لابن حزم .

^(٧) كتاب مشهور متداول ومطبوع عدة طبعات ، وله طبعه بهامشها ، الملل والنحل للشهرستاني .

^(٨) جذوة المفتبس (٣٠٨) للحميدى .

وأما في الطب فقد كانت له معرفة جيدة وله فيه مباحث وممارسة قال ابن كثير: " كان أديباً شاعراً فصيحاً له في الطب والمنطق كتب " (١) . ومن كتبه في الطب كتاب (حد الطب) ، (الأدوية المفردة) ، (ومقالة في شفاء الضد بال ضد) .

(١) البداية والنهاية (٩٨/١٢) لابن كثير .

المطلب الثالث

العلوم العقلية والفكرية

قد كانت العلوم العقلية والفكرية في عصر ابن حزم لها قدح معلى وراية خفاقة بين الخاصة ، لذلك لم يسلم إمامنا من الخوض في غمارها والتبحر في أسفارها .

وقد تعلم ابن حزم المنطق منذ صباه من شيخه محمد بن الحسن المذحجي^(١) وأمعن فيه ، وقد وجد المنطق في ابن حزم عقلية حرة وفكراً ثاقباً سرعان ما اتسع به . قال الذهبي : " وكان قد مهر أولاً في الأدب ، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة " (٢) . ولكن سرعان ما ترك علم المنطق والفلسفة لعلوم الإسلام ، كما قال ابن صاعد : " وعنى بعلم المنطق وبرع فيه ، ثم أعرض عنه وأقبل على علوم الإسلام حتى نال من ذلك ما لم ينله أحد بالأندلس قبله " (٣) .

وله من كتب المنطق كتاب (التقریب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية) مجلد واحد .

قال عنه ابن صاعد : " فإنه سلك في بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب الممخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمنا " (٤) .

ولكن هذا الولوج وهذه الأمامة في المنطق لم تكن محمودة له من كثير من العلماء ، ولا سيما أن ابن حزم رأس في علماء الإسلام فقد قال الذهبي : " لقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق ويقدمه على العلوم فتألمت له ، فإنه رأس في علوم الإسلام ، متبحر في النقل ، عديم النظير على ييس فيه ، وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول " (٥) .

والحق إن تعلمه وبراعته ومجادلته في علم المنطق رغم أنه تركه وأعرض عنه أوقعته في أمرين :

(١) سبق ترجمته ص (٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨٦/١٨) للحافظ الذهبي .

(٣) المرجع السابق (١٨٨/١٨) .

(٤) جذوة المقتبس (٣٠٨) للحميدى .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٨٦/١٨) للذهبي .

الأول :

لم يستطع أن يفهم مقصود من جادل وخالف كما قال ابن حيّان : " كان ابن حزم - رحمه الله - حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب ...، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة ، وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلط لجراءته في الستور على الفنون لا سيما المنطق فإنهم زعموا أنّه زل هنالك وضل في سلوك المسالك ، وخالف أرسطاطاليس^(١) واضع الفن مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض^(٢) .

ولعل هذا من عدم تمرسه في علم المنطق طويلاً وانشغاله عنه بعلوم الإسلام .

الأمر الثاني :

إنّ علم المنطق والفلسفة أورثته اضطراباً في بعض قضايا المعتقد التي خالف فيها السنّة ، وأعمل العقل والرأى في أمور كان التسليم فيها للوحي أسلم من الخوض فيها . قال في ذلك الحافظ ابن كثير : " والعجب كل العجب منه - ابن حزم - أنّه كان ظاهريّاً حائراً في الفروع لا يقول بالقياس لا الجلى ولا غيره ، وهذا الذي وضعه عند العلماء وأدخل عليه خطأ كثيراً في نظره وتصرفه ، وكان مع هذا أشدّ الناس تأويلاً في باب الصفات وآيات الصفات وأحاديث الصفات ، لأنّه كان قد تزلّج من علم المنطق وأخذ عن محمد بن الحسن المذحجي الكنائى القرطبي ذكره ابن ماكولا^(٣) وابن خلكان^(٤) ففسد بذلك حاله في باب الصفات^(٥) ، وقال الحافظ الذهبي : " ما أعرض عنه - أى المنطق - حتى زرع في بطنه أموراً وانحرفاً عن السنة " ^(٦) .

(١) أرسطاطاليس ولد في شمال اليونان عام ٣٨٤ ق . م . وكان والده نيقوماخس طبيباً ، وهو من أشهر الفلاسفة وأقدمهم يلقب (بالفيلسوف) (والمعلم الأول) (والحكيم) . راجع كتاب أرسطوطاليس المعلم الأول ، بقلم ماجد فخرى ، المطبعة الكاثوليكية .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠٠ / ١٨) للذهبي - معجم الأدباء لياقوت (٢٣٧ / ١٢) .

(٣) هو : هبة الله بن على بن جعفر أبو القاسم بن ماكولا ، كان عارفاً بالشعر والأخبار إستوزره جلال الدولة ببغداد ، تعرض للحبس ، وقد ولد عام ٣٦٥ هـ وقتل في حبسه عام ٤٣٠ هـ . راجع الأعلام (٧٣ / ٨) للزركلى .

(٤) هو : أحمد بن إبراهيم بن أبو بكر بن خلكان البرمكى الأربيلى أبو العباس المؤرخ الحجة ، والأديب الماهر صاحب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، وهو من أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً ، ولد في

أربل عام ٦٠٨ وتوفي بدمشق عام ٦٨١ . راجع الأعلام (٢٢٠ / ١) للزركلى .

(٥) البداية والنهاية (٩٨ / ١٢) .

(٦) السرد (١٨٨ / ١٨) للذهبي .

البحث الرابع
أثر ابن حزم الأصولية

وغيره كذا حذر

المطلب الأول

شخصية ابن حزم الأصولية

إن كنا سوف نتكلم عن آثار ابن حزم الأصولية ، كان لابد لنا أن نتكلم عن ابن حزم الأصولي وما امتاز به في علم الأصول .

١- كان ابن حزم متحققاً في علم الأصول ولم يكن مقلداً فيه بل كان مجتهداً ، يحقق المسائل الكلامية والمنطقية بما استبان له من بديهيات العقول والحس ، وكذلك ينظر في مباحث الألفاظ اللغوية ومدلولاتها نظرة فاحصة لا تقبل كل ماقرره اللغويون ، فنجده يبطل الاشتقاق^(١) ، أمّا في العلوم الشرعية فلم يكن للتقليد إليه من سبيل فابن حزم ينفي التقليد مطلقاً .

ولعلّ الذي جعله أصولياً قوياً متفرداً ، إحكامه للعلوم الثلاثة التي منها استمداد علم الأصول ، وهي العلوم الكلامية واللغوية والشرعية .

٢- يمتاز ابن حزم بالمنهجية الصارمة المنضبطة الشاملة ، والتي يصدق أولها آخرها يقول الدكتور إحسان عباس : " فأنا لا أعرف كاتباً بين مفكرى العربية يضع بين يديه أطروحة ما ثمّ يعالجها في إستيفاء شمولي ومنهجية شاملة كما يفعل ابن حزم ، يستوى في ذلك كتبه ذات المجلدات العديدة ، ورسائله المطولة وغير المطولة " ^(٢) . المطولة وهذه المنهجية ميزة له في كل تناوله لأصناف العلوم ، ولكنها في علم أصول الفقه ميزة كبرى ، لأنّ علم الأصول علم منهجـة وضبط على نسق أخذ الأحكام من مظائرها .

٠٠٣٣٥١

٣- كان ابن حزم من علماء الحديث المحققين ومن الحفاظ الناقدين لذلك كان من الأصوليين المتميزين بتحقيق الأحاديث التي استدلوا بها فلم يقع فيما وقع فيه كثير من الأصوليين من الاستدلال بأحاديث وآهية ساقطة . ^{استدل}

٤- إنّ اطلاع ابن حزم في فقه الأئمة الأربعة وحفظه المتقن لمسائل الفقهاء ، مع الملكة العقلية الناقدة ، جعلته يتميز في منهج الاستدلال ، وهو محاكمة فروع الفقهاء بإصولهم بشكل مستفيض متتبع حتّى يكاد يبلغ درجة الاستقصاء في بعض المسائل .

^(١) يقول ابن حزم : " والذي نعتقه ونقول ونقطع على صحته أن الاشتقاق كله باطل " . الإحكام في أصول الأحكام (١٣/٤) لابن حزم .

^(٢) مقدمة الدكتور إحسان عباس ، كتاب الإحكام (١/ب) لابن حزم .

المطلب الثاني

من كتب ابن حزم الأصولية

كانت الكتابة عند ابن حزم هي أهم وسيلة للتعبير عن آرائه وعلمه فقد كان مُحاصراً ومُحارباً من الفقهاء لأنَّه بسط لسانه فيهم بسطاً منكراً ، فنفر طلاب العلم عنه ، لهذا وجد ابن حزم السَّعة في التَّأليف والتَّحقيق ، فألف ما لم يؤلِّفه عالم في زمانه ، وإن لم تتجاوز عتبة داره ، وبلدته في زمانه .

وقد جمع ابن حزم أصوله الفقهيَّة ومسائله في الأصول في عدة كتب منها كتاب (النبذة الكافية) (النكت الموجزة في نفي الرأى والقياس والتعليل والتقليد) (مراتب الإجماع) (ما وقع بين الظاهريَّة وأصحاب القياس) (وكتاب الأحكام في أصول الأحكام) .

وسوف أتناول نموذج من كتبه وهو كتاب :-

الإحكام في أصول الأحكام :-

هذا الكتاب جعله ابن حزم السِّفر الذي يعبر فيه عن آرائه الاصوليَّة ، وموسوعة جامعة لأصوله الفقهيَّة ، وحُجَّة قوية لنقد مذاهب غيره من الأصوليين والفقهاء ، جمعه في مجلدين وثمانية أجزاء وجعله ابن حزم أيضاً شرحاً لآيه من كتاب الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (١) .

قال ابن حزم : " فنظرنا في هذه الآية فوجدناها جامعة لكل ما تكلم فيه النَّاس ... ، فكان هذا ، كلَّه في بيان العمل بهذه الآية ، وكيفية وبيان الطاعتين المأمور بهما لله تعالى ولرسوله عليه السَّلام ، وطاعة أولى الأمر ، ومن هم أولو الأمر ، وبيان التنازع الواقع منا ، وبيان ما يقع فيه التنازع ، وبيان رد ما تنازع فيه إلى الله تعالى ورسوله عليه السَّلام وهذا هو جماع الديانة كلَّها " (٢) .

(١) سورة النساء الآية (٥٩) .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (١/٩-١٠) لابن حزم .

سبب تأليف الكتاب :-

يبين ابن حزم أنَّ سبب تأليفه للكتاب هو امتثالاً لأمر الله تعالى يقول : " فوجب علينا أن ننفر لما استفرنا له خالقنا عزَّ وجل " (١) . ثمَّ ذكر الآية السابقة الذكر .

مميزات الكتاب :-

١- من الواضح أنَّ ابن حزم ألف كتابه (الإحكام) بعد أن اكتملت المباحث العقلية والجدلية والفقهية عنده ، أى في مرحلة متأخرة من حياته العلمية ، بعد أن نضجت وتوسعت مباحثه ومقدراته الأصولية لذلك نجد الثقة الكبيرة التي يبديها فيما يقرره من مسائل فقد قدَّم بين يدي كتابه هذا (كتاب التقريب) (٢) وهو كتاب عن المباحث المنطقية والكلامية ، أحكم فيه مسائله وأبرز فيه تجاربه .

وكذلك (كتاب الفصل) (٣) وهو الكتاب الذى جادل فيه وقيمَّ كل الملل والمذاهب وأيضاً كان يحيل إلى كتاب (الإيصال) (٤) وهو الجامع للفقهاء والحديث .

٢- وكذلك إمتاز بأنَّه أجمع وأشمل بل وموسوعة لأصول الظاهرية حيث إنَّه لا يوجد للظاهرية كتاب مشهور منتشر مثل هذا الكتاب بل ولم يكن للظاهرية قبله كتاب جامع لأصولهم سوى مباحث متفرقة ألفها داود وابنه محمد وغيرهم من العلماء فبالتالى كان كتاب الإحكام هو الكتاب الذى حفظ لنا أصول المذهب الظاهري على مر السنين .

٣- وامتاز أيضاً بأنَّه حوى على محاورات قيمة ومسائل فقهية جريئة تجعله قبلة للباحثين والمحققين ، ونستطيع أن نستخرج منه جزءاً متوسط من فقه المالكية وكذلك من فقهيات الأحناف .

وأما الشافعية فلم يكثر من إيراد مسائلهم لأنَّه يرى أنَّهم أكثر إنضباطاً في الفقه وأصوله وأكثر إلتراماً بالنصوص .

أما الحنابلة لم يتعرض لمسائلهم إلا نادراً ، فلعله لم يعدهم من الفقهاء بل من أهل الحديث.

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١/٩-١٠) لابن حزم ط دار الفرقان الجديدة .

(٢) المرجع السابق (١/١٦) .

(٣) المرجع السابق (١/١٦) .

(٤) المرجع السابق (٨٠/٤) (١/٧٢) .

٤- وضوح الكتاب ونصوع منهجه وابتعاده عن التعقيد وتشعيب المسائل مما جعله في متناول الجميع ، لذلك أقول : إنّه لا يحتاج إطلاقاً إلى شروح أو حواشى ولعله قد يكون في حاجة إلى الاختصار أكثر من الشرح والتبيين .

المطلب الثالث

منهج وأسلوب ابن حزم في مؤلفاته الأصولية

أولاً : منهج ابن حزم :-

- إنَّ ابن حزم يمتاز ببعض الخصائص المنهجية في كتاباته الأصولية ، ويمكن عرض بعض ملامح منهج ابن حزم في النقاط الآتية :-
- ١- تحديد الفكرة أو الرؤية ، ثمَّ معالجة الأبواب والمسائل وفقَّها معالجة صارمة ومُحكمة .
 - ٢- عدم التقليد بل كان يختار ويتبع ما استبان له دليله .
 - ٣- عرض آراء المخالفين واستيعابها ثمَّ مناقشتها .
 - ٤- تحديد معاني الألفاظ والمصطلحات فقد أفرد لها باباً .
 - ٥- تكرار المسائل التي يراها مهمة في عدة أبواب حتَّى ترسخ في ذهن القارئ .
 - ٦- حسن التقسيم والترتيب ، من حيث التقسيم إلى أجزاء وأبواب وفصول مما يسهل على الباحث .
 - ٧- قد يلجأ أيضاً إلى تلخيص بعض المباحث لتذكير القارئ وربط الموضوع في ذهنه .
 - ٨- الإكثار من المسائل الفرعية ، مما يعطى أمثلة جيدة تُقرر الفهم وتبيِّن المقصود .

ثانياً : أسلوب ابن حزم :-

- ١- أسلوب ابن حزم من حيث الإيجاز والإطناب ، يميل إلى الإيجاز وعدم التشعب في المسائل ، ولربما مال إلى الإطناب والتوسع في ذكر الأدلة ومناقشتها .
- ٢- ومن حيث الوضوح والغموض فأسلوبه بيِّن لا لبس فيه ولا ألغاز ، يبتعد كل البعد عن التعقيد .
- ٣- يتميز أسلوبه الأدبي بنصوع العبارة ووضوح الإشارة .
- ٤- يستخدم أسلوب تجزئة المادة والربط بعبارة قال على أو قال أبو محمد ، حتَّى ينتبه القارئ إلى ما سوف يقوله .

المطلب الرابع

ملاحظات على منهج وأسلوب ابن حزم

أولاً : ملاحظات على منهج ابن حزم :-

- ١- التعصب المفرط لمنهجه وآرائه حتّى ولو أوقعه ذلك في أمور لا يُحمد عليها .
- ٢- إلزام خصومه بأقوال لا تقتضيها أقوالهم لبيان تناقضهم .

ثانياً : ملاحظات على أسلوب ابن حزم :-

- ١- استعمال العبارات اللاذعة ضد مخالفيه ^(١) .
- ٢- كثيراً ما يميل إلى تجريح مخالفيه ويصفهم بالجهل والحماقة وسوء القصد ^(٢) .
- ٣- يكتب بأسلوب فيه كثير من التعالي والثقة المفرطة بالنفس ^(٣) .

^(١) يقول في أحد الماكنية : " وليس العجب ممن يطلق لسانه بمثل هذا الخنا فإنه قد عدم الرقيب والحياء والخوف ولا يبالي بالإثم ولا بالعار ، وإنما العجب ممن يسمعه ثم يقبله " . الإحكام (٤٤/٤) .

^(٢) يقول ابن حزم : " وإنما غرض القوم نصر المسألة الحاضرة بما أمكن من باطل وحق " . ويقول : " فلو قيل لكم اجتهدوا في الخطأ ما أمكنكم أكثر من هذا " . الإحكام (٣٩/٥) .

^(٣) يقول : " ونحن وإن وافقنا أبا حنيفة في بعض قوله هنا ، فلسنا ننكر إتفاقنا في المسائل وقد يجتمع المصيب والمخطئ ... ، أحدهما بالجد والبحث والعلم يبين ما يطلب ، والثاني بالجد والبحث والاتفاق " الإحكام (٣٠/٧) ويقول في الرد على القائلين بالقياس : " واحتجنا لهم بكل ما شغبوا به وزدناهم احتجاجاً بما لم يحتجوا به لأنفسهم " . الإحكام (٧٧/١) .